المال..
فى القرآن والسنة

الأستاذ الدكتور

موسى شاهين لاشين

الخبير الأول بمركز بحوث السنة
والسيرة

المال..

في القرآن والسنة

الأستاذ الدكتور
موسى شاهين لاشين

يقول الله تعالى : ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾ (الآية ١٤ سورة آل عمران)

لماذا زين لنا حب المال ؟ ومن الذي زينه ؟ أهو خير فأقول « ما أصابك من حسنة فمن الله » ؟ أم هو شر فأقول : « وما أصابك من سيئة فمن نفسك » ؟ أم هو يجمع بين الأمرين ؟ أم هو صالح للأمرين ؟ فأقول : « كل من عند الله » ؟

ولم قدمت الآية النساء والبنين عليه ؟ أهو بالدرجة الثانية بالنسبة لهما ؟ أم هو أدخل منهما في المقصود وأخر للاهتمام به وطول الكلام عليه ؟

ولماذا نجرى وراءه حتى نلهث ؟ ونجري وراءه بعد أن نلهث ؟ ولماذا جعله الله كذلك ؟ وجعلنا كذلك ؟ أهو حقا يطغى ؟ أهو حقاً مجبنة مبخلة ؟ أهو حقاً يدفع إلى الكبر والخيلاء ؟ إلى أي مدى هو شرك من شراك إبليس ؟ وإلى أي مدى يساعد على

الطاعة والعبادة ؟ وإلى أي مدى يشغل عنها ؟ وما علاقته برضا الله أو غضبه ؟ وما مدى إسهام الإنسان ونصيب القضاء والقدر في الغنى والفقر ؟ وما نظرة الإنسان للمال عند الموت ؟ وكيف يحاسب عليه بعد الموت ؟ كيف نجني خيره ؟ وكيف نتقي شره ؟

أسئلة واستفهامات تعظم وتصغر ، وكأنها الأمواج تعلو وتهبط .

الآية الكريمة : « زين للناس حب الشهوات . . . » ما هو التزيين ؟ ومن الذي زين ؟ وهل هذه الشهوات خاصة ببني آدم دون بقية المخلوقات ؟ نقول وبالله التوفيق

التزيين يطلق على تجميل الشيء ، وعلى تخييل جماله دون أن يكون في نفسه جميلا ، وهو في الأكثر إذا أسند إلى الماديات كان بالمعنى الأول ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب** ﴾⁽¹⁾ ، فالمقصود التجميل الحقيقي ، وليس التخييلي والوهمي ، والتزيين في الأكثر إذا أضيف إلى المعنويات كان بالمعنى الثاني وهو التخييل من غير أن يكون للشيء زينة في الحقيقة ونفس الأمر ، وقد استعرضت لفظ « زين » بالبناء للمجهول في القرآن الكريم ، فوجدته قد جاء عشر مرات ، وكلها في أمور سيئة ، ولا جمال ولا زينة حقيقية فيما ألحقت به ، وهذه هى الآيات :

١ - ﴿ **زين للناس حب الشهوات . . . .**⁽٢⁾ ﴾

٢ - ﴿ **زين للذين كفروا الحياة الدنيا**⁽٣⁾ ﴾

٣ - ﴿ **كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون**⁽٤⁾ ﴾

٤ - ﴿ **فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم**⁽٥⁾ ﴾

---

(١) سورة الصافات الآية ٦

(٢) سورة آل عمران الآية ١٤

(٣) سورة البقرة الآية ٢١٢

(٤) سورة الأنعام الآية ١٢٢

(٥) سورة التوبة الآية ٣٧

٥ - ﴿ **كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون**[٦] ﴾

٦ - ﴿ **بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل**[٧] ﴾

٧ - ﴿ **أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء**[٨] ﴾

٨ - ﴿ **وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل**[٩] ﴾

٩ - ﴿ **أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله**[١٠] ﴾

١٠ - ﴿ **وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء**[١١] ﴾

وما كان من الأمور السيئة أسند مباشرة وأداء لغير الله ، وإن كان من الله تعالى خلقاً وإيجاداً ، ومعنى هذا أن الشيطان هو الذي يزين لنا حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة . . الخ .

ولا عجب فهو القائل في زهو وغرور ﴿ **قال رب بما أغويتني لأ زينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين**[١٢] ﴾ وتزيين الشيطان لها هو إغواؤه ووسوسته وحض الناس على تعاطي هذه الشهوات .

لقد طلب إبليس من ربه أن يمهله وينظره ويمكنه من إغواء بني آدم بكل الوسائل وأهمها عنده المال ﴿ **قال أرأيتك هذا الذي كرمت على لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأ حتنكن ذريته إلا قليلا** ﴾ . فأجابه رب العالمين ﴿ **قال : اذهب ، فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً ، واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك ، وشاركهم في الأموال والأولاد ، وعدهم**

---

(٦) سورة يونس الآية ١٢

(٧) سورة الرعد الآية ٣٣

(٨) سورة فاطر الآية ٨

(٩) سورة غافر الآية ٣٧

(١٠) سورة محمد الآية ١٤

(١١) سورة الفتح الآية ١٢

(١٢) سورة الحجر الآيتان ٣٩ ، ٤٠

وما يعدهم الشيطان إلا غروراً(١٣) ﴾ وحذرنا جل شأنه من مطاوعته والاستجابة له فقال : ﴿ يابني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ، ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون(١٤) ﴾ ووضح لنا ما فعله مع أبينا وأمنا آدم وحواء إذ قال ﴿ يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى(١٥) ﴾ وقال ﴿ ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ، وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين(١٦) ﴾ حذرنا منه في كثير من الآيات ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير(١٧) ﴾ . ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين(١٨) ﴾ ﴿ وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه ، كلوا من ثمره إذا أثمر ، وآتو حقه يوم حصاده ، ولا تسرفوا ، إنه لا يحب المسرفين ، ومن الأنعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين(١٩) ﴾ . ﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا(٢٠) ﴾ . ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ، ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ، واعلموا أن الله غني حميد ، الشيطان يعدكم الفقر

---

(١٣) سورة الإسراء الايات من ٦٢ ـ ٦٤

(١٤) سورة الأعراف الآية ٢٧

(١٥) سورة طه ١٢٠

(١٦) سورة الأعراف ٢٠ ، ٢١

(١٧) سورة فاطر الآية ٦

(١٨) سورة البقرة الآية ١٦٨

(١٩) سورة الأنعام ١٤١ ، ١٤٢

(٢٠) سورة الإسراء الاية ٢٧

ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً ، والله واسع عليم⁽٢١⁾ ﴾ ﴿ ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا ، يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا⁽٢٢⁾ ﴾ .

ومن الواضح أن هذه الأمور زينت لبني آدم خاصة « زين للناس » فتقديم لفظ « للناس » على نائب الفاعل وهو « حب الشهوات » لإفادة الحصر والاختصاص وهى في مجموعها لانقاش في أنها شهوات الناس لا شهوات غيرهم ، فغيرهم من المخلوقات لم يزين له المال ، فالملائكة لا علاقة لها بهذه الشهوات كلها ، والجن والحيوانات والطيور وإن شاركت الإنس في بعض هذه الشهوات فهى لا تشاركه في شهوة المال وحب المال والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث .

وإذا كنا قد قررنا أن تزيين هذه الأمور ونحوها هو من قبيل التخييل وتحسين ما ليس بحسن في نفسه ولا بذاته فإنه يلزمنا أن نلقي الضوء على أن حسنها إنما هو في نظر الناس ، بل في نظر بعض الناس ، وفي واقعها شر وإضرار . فشهوات النساء من أخطر الأخطار ، يعبر عن ذلك رسول الله ﷺ فيقول :

« ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء⁽٢٣⁾ » والغريب أن زينة النساء تختلف من شخص إلى شخص ، فالبيضاء جميلة عند البعض ، والسمراء أجمل عند البعض ، وأنواع التجمل بعضها محبوب وبعضها مبغض ممقوت ، وهذا يعطينا تأكيداً لكون التزيين إنما هو تخييل يختلف باختلاف المتخيلين ، وقد شاء الله هذا التزيين للنساء والبنين لبقاء الجنس البشري .

نعم . هذه أمور في حقيقتها وجملتها ليست خيراً مطلقاً وزادها بعداً عن الحسن أن التزيين توجه إلى حب شهواتها وليس إلى حبها ، والشهوات عامة خسيسة عند

---

(٢١) سورة البقرة ٢٦٧ ، ٢٦٨

(٢٢) سورة النساء ١١٩ ، ١٢٠

(٢٣) رواه النسائي

الحكماء والعقلاء ، وفي هذا التعبير تنفير عن الركون إليها والثقة بها والانغماس فيها ، لذا نجد القرآن الكريم يعقب عليها دائما بالترغيب فيما عند الله ، فختام آيتنا **﴿ ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ، قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد(٢٤) ﴾** .

وحب شهوة المال فوق حب شهوة النساء ، وفوق حب شهوة البنين ، وإن أخرت في الآية عنهما ، فشهوة المال محبوبة لكل الأفراد ، وفي كل الأوقات فهو زينة ومحبوب للآباء والأمهات والأبناء ، أما النساء فشهوتهن لمن تاق إلى الشهوة . وأما البنون فزينتهم لمن بلغ مبلغ الأبوة ، ثم إن زينة النساء والأولاد لا تكون بدون المال ، فإن من وهب شهوة النساء ورزق شهوة البنين بدون مال فهو في أضيق حال ونكال ، بخلاف من رزق زينة المال فكثيراً ما يتمتع بها بدون زينة النساء والبنين ولو لفترة ما ، يضاف إلى ذلك أن المال أساس لبقاء النفس البشرية ، وليس كذلك النساء ولا البنون .

فالمال أهم ما في الوجود ، وإن كان أخطر ما في الوجود ، نعم هو أهم ما في الوجود ، وأخطر ما في الوجود ، لأن صاحبه لا يدرك خطره إلا بعد فوات الأوان ، بهجته تعمي الأبصار عن رؤية حقيقته ، وجمعه يدفع إلى جمعه مع الغفلة عن حله وغير حله ، حبه يدفع إلى حفظه وادخاره وكنزه والبخل به ، فهو كالمخدر الذي يشل حركة التفكير والتعقل والتدبر إلا من عصمه الله .

يجوس في نفسي سؤال يجوس في نفوس الكثيرين من أمثالي . إذا كان الأمر كذلك فلماذا جعله الله كذلك ؟ وجعلنا كذلك ؟ والجواب صريح في القرآن الكريم .

يقول الله تعالى **﴿ انما أموالكم وأولادكم فتنة(٢٥) ﴾** . عجبا للقرآن الكريم

---

(٢٤) سورة آل عمران الآية ١٥

(٢٥) سورة التغابن اية ١٥

وحكمته ؟؟؟ حيثما عبر عن الزينة والبهجة قدم البنين على الأموال ، وحيثما تكلم عن الفتنة والبلاء قدم الأموال على الأولاد ، نعم فالأولاد شأنهم الظهور والأموال شأنها التخبئة والاختزان والسر ، وفتنة الأموال أخطر بكثير من فتنة الأولاد ، لأن الآموال غالباً هى أساس فتنة الأولاد فكأنها أساس كل الفتن .

نعم الأموال فتنة وابتلاء واختبار ، عطاؤ ها فتنة ، الغني فتنة والفقر فتنة ، ﴿ **ونبلوكم بالشر والخير فتنة**(٢٦) ﴾ ولا يستطيع العاقل المؤمن أن يطمئن إلى وجود الخير في الغنى ، ولا إلى وجود الشر في الفقر ، فقد قال ﷺ في فقير : إنه خير من ملء الأرض من مثل الغني .

فقد روى البخاري(٢٧) عن سهل رضى الله عنه قال « مر رجل غني على النبي ﷺ فقال : ما تقولون في هذا ؟ قالوا : حرى إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع ، وإن قال أن يستمع ، ثم سكت فمر رجل من فقراء المسلمين فقال : ما تقولون في هذا ؟ قالوا : حرى إن خطب أن لا ينكح ، وإن شفع أن لا يشفع ، وإن قال أن لا يستمع ، فقال رسول الله ﷺ : هذا خير من ملء الأرض مثل هذا » فالغني ليس دليلاً على رضى الله على الغنى ، والفقر ليس دليلاً على غضب الله على الفقير ، فقد روى أن الله يسر إلى عبده الفقير يوم القيامة ويعتذر إليه ويقول : مازويت عنك الدنيا لهوانك على ولكن لأدخر لك هذا النعيم المقيم(٢٨) » .

ويقول جل شأنه ﴿ **أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات ؟ بل لا يشعرون**(٢٩) ﴾ . ويقول ﴿ **وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى**(٣٠) ﴾ ولو أن الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر

---

(٢٦) سورة الأنبياء اية ٣٥

(٢٧) رواه البخاري

(٢٨) رواه الطبراني

(٢٩) سورة المؤمنون اية ٥٥ ، ٥٦

(٣٠) سورة سبأ الاية ٣٧

منها شربة ماء ، إنه جل شأنه يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا من يحب ، فمن أعطاه الدين فقد أحبه(٣١) . ويقول ﷺ « أني لأ عطي الرجل وغيره أحب إلى منه(٣٢) » .

ويقول جل شأنه : ﴿ **ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون . ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون . وزخرفاً وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين(٣٣)** ﴾ .

ولعلنا ندرك بما لا يقبل الجدل ـ وبالمحسوس ـ أن المال كما يأتي بعد الكد والتعب قد يأتي عفواً بلا مجهود ومن غير توقع ﴿ **يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر(٣٤)** ﴾ . وكم من الفقراء تفجرت لهم ينابيع الأرض ، وجرى في أيديهم الرزق بين يوم وليلة ، وكم من الأغنياء من أصبح يقلب كفيه على لا شيء ، واذكر معي قول الله تعالى ﴿ **قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير ، إنك على كل شيء قدير(٣٥)** ﴾ .

والأكثر دهشة أن كثيراً من الكثرين مالا هم أقل الناس ثقافة وكدا ، وأن كثيراً ممن آتاه الله بسطة في العقل والعلم حرمه كثرة المال ، حتى قال الشاعر في زمان فسد أهله :

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه		وجاهـل جاهـل تلقاه مرزوقـا
هـذا الذي ترك الأوهام حائـرة		وصير العالـم النحريـر زنديقـا

---

(٣١) جزء من حديث رواه أحمد عن عبد الله بن مسعود

(٣٢) رواه البخاري

(٣٣) سورة الزخرف اية ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥

(٣٤)سورة الإسراء اية ٣٠

(٣٥) سورة آل عمران اية ٢٦

أفبعد هذا يفرح الغني لغناه ويحسبه خيراً ؟ ويحزن الفقير لفقره ويحسبه شراً ؟

إنني بهذا ألقن الممتحن الجواب ، ألقن الفقير الصبر والشكر ، وألقن الغني دروساً في معرفة نفسه وعدم اغتراره بماله ، فالذي أعطى قادر على الحرمان والذي حرم قادر على الإعطاء .

إن امرأ أساسياً أن نؤمن بأن الله وحده هو الذي يعطي وهو الذي يمنع ، وهو الذي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ، وقد أكد الله تعالى هذا المعنى في القرآن الكريم وكرره في عشرات من الآيات بل ضرب أمثلة حسية شاهدتها البشرية لتتضح هذه الحقيقة لكل ذى عينين ، ولنقرأ قوله تعالى : ﴿ **واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً . كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا (أي كانت تعطي ثمارها المتوازنة كل عام لم تنقص ثمارها في عام عنها في عام آخر ، كما هو المعهود في ثمار الحدائق تزيد عاماً وتنقص عاماً) وفجرنا خلالهما نهراً ، وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً ، ودخل جنته وهو ظالم لنفسه ، قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً . وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلبا . قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً . لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً . ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولداً . فعسى ربي أن يؤتيني خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقاً . أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلباً . وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول ياليتني لم أشرك بربي أحداً . ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً**(٣٦) ﴾ .

ولنقرأ كذلك قوله تعالى : ﴿ **إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين . ولا يستثنون . فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون .**

---

(٣٦) الايات من ٣٢ - ٤٣ سورة الكهف

فأصبحت كالصريم . فتنادوا مصبحين . أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين . فانطلقوا وهم يتخافتون . أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين . وغدوا على حرد قادرين . فلما رأوها قالوا إنا لضالون . بل نحن محرومون . قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون . قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين . فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون . قالوا ياويلنا إنا كنا طاغين . عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون . كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون(٣٧) ﴾ .

وقصة قارون وقد آتاه الله من الكنوز ما يعجز العشرة من الرجال عن حمل مفاتيح خزائنه خسف الله به وبداره الأرض في لحظة ﴿ **فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين(٣٨)** ﴾ .

حقيقة لا يشك فيها عاقل ـ أن الله هو الذي يعطي وهو الذي يمنع ، وهو الذي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له . لا يشك فيها عاقل ، لأنه يرى أحداثها كل يوم في واقعه ، وكل ما نملك أمام هذه الحقيقة أن نتمنى وأن نحاول وأن نسعى ، وما كل ذلك إلا جهود قد تنتج في الصورة مالا ، وقد تفشل في تحصيل المال حتى في الصورة .

الحقيقة الثانية : أن الله تعالى جعل البعض أغنياء وجعل البعض فقراء ليتخذ البعض البعض سخريا ، ولينال الغني أجراً وثواباً بعطفه على الفقير ولينال الفقير أجراً بصبره والدعاء للغني ، وبهذا التكافل الاجتماعي تترابط البشرية .

ولم يغفل القرآن الكريم ـ كلما طلب من الغني الإنفاق على الفقير ـ أن يشعر الغني بأن المال الذي بين يديه ليس ماله ، وإنما هو مال الله ، أودعه أمانة لديه ، وأذن له بالانتفاع به ، وهو يأمره بالإنفاق منه على الفقير ، فيقول جل

---

(٣٧) الايات من ١٧ ـ ٣٣ من سورة القلم

(٣٨) سورة القصص اية ٨١

شأنه : ﴿ **وآتوهم من مال الله الذي آتاكم**(٣٩) ﴾ ﴿ **لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله**(٤٠) ﴾ ﴿**قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية**(٤١) ﴾ ﴿ **آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه**(٤٢) ﴾ .

وسفه القرآن الكريم أحلام الذين لم يفقهوا الحكمة من خلق الفقير والغني فقال : ﴿ **وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه**(٤٣) ﴾ نعم لو شاء الله أطعمه ، وأغناه ، ولكنه الابتلاء والاختبار .

شاء الله تعالى أن يجعل المال هو الرابطة بين أفراد بني آدم يحتاجه الأمير كما يحتاجه خادمه ، وإن اختلفت مقادير الحاجة بينهما ، لا يستغنى عنه فرد ، علا قدره ، أو هبطت منزلته ، تخيل معي عالما من البشر لا يدفعه للعمل مال ، تخيل البنائين لا يحتاجون إلى المال ، هل يبنون ؟ اللهم لا . وتخيل النجارين لا يصنعون أبواباً ولا نوافذ ولا أثاث المساكن ، وتخيل الغزالين والنساجين لا يعدون الملابس ، وتخيل الصناع والمصانع لا تنتج سيارات أو طائرات أو بواخر ، وتخيل الزارعين لا يزرعون ، وتخيل الخبازين لا يخبزون ، وفوق ذلك تخيل الباعة والتجار لا ينقلون البضاعة من منتجها إلى مستهلكها ، هل تكون هناك حياة ؟ إن إضراب طائفة واحدة لأيام يهدد حياة الأمة بالشلل ويسقط الحكومات ، لأن الإنسانية مترابطة المصالح ولا حياة لها إلا بعمل أفرادها ، ولا دافع لأفرادها لأن يعملوا إلا المال .

---

(٣٩) سورة النور الآية ٣٣

(٤٠) سورة الطلاق الآية ٧

(٤١) سورة ابراهيم اية ٣١

(٤٢) سورة الحديد الآية ٧

(٤٣) سورة يس الآية ٤٧

ليست الحاجة إلى المال ، فإن كثرين يجمعون المال وهم لا يحتاجونه ، وإنما حب المال الذي غرس في طبيعة الإنسان منذ خلق ، وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ **وتحبون المال حباً جماً**[٤٤] ﴾ وحيث يقول : ﴿ **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث**[٤٥] ﴾ وحيث يقول ﴿ **اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد**[٤٦] ﴾ وصدق الرسول الكريم حيث يقول : « لو أن لابن آدم مثل واد من ذهب لأحب أن يكون له مثله ثانيا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب[٤٧] » ويقول : « يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان . حب المال وطول العمر[٤٨] » فحب المال جعلنا نسعى لجمعه ، ويحتاج الإنسان لأخيه الإنسان وجعلنا نحرص عليه ويضحي الإنسان في سبيله بكل غال ، يضحي بالهدوء والراحة والسعادة والأهل والأوطان ، ويشقى طول عمره من أجل المال ، الجار يعادي الجار من أجل المال ، الأخ يخاصم الأخ ويحاربه من أجل المال ، بل وصل الأمر إلى أن يقتل الولد أمه وأباه من أجل المال ، وما محاربة الدول بعضها لبعض إلا من أجل المال ، فأي حب هذا ؟ وأين العقل ؟ وما أثر الأديان ؟ .

لقد اهتمت الشريعة الإسلامية بالمال اهتماماً فوق كل الشرائع ، اهتمت بالتبصير به وبحقيقته ، حذرت كثيراً من فتنته والانحراف به ، رسمت الخطوط السليمة لاكتسابه ، والقنوات الصحيحة لتصريفه ، خوفت وأوعدت من اكتنازه وحجبه .

---

(٤٤) الآية ٢٠ من سورة الفجر

(٤٥) سورة آل عمران الآية ١٤

(٤٦) سورة الحديد ٢٠

(٤٧) رواه البخاري ومسلم

(٤٨) رواه البخاري ومسلم والترمذي

ليس من المبالغة أن نقول : إن مئات الآيات القرآنية تتعلق بالمال ونظامه ، وليس من المبالغة أن نقول : إن آلاف الأحاديث النبوية في المال وتداوله ، وليس من المبالغة أن نقول : إن ثلاثة أرباع الفقه والأحكام الفرعية تتعلق بالمال وإدارته - لا تعجب أيها القارىء - ففقه المعاملات كله يتعلق بالمال ، وهو نصف الفقه أو يزيد ، وفقه العبادات منه الزكاة وهى مالية محضة ، والحج وهو مالي وبدني .

لماذا كل هذا الاهتمام ؟ ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل(٤٩) ﴾ وقد أعذر من أنذر .

لقد أفرط قوم قبلنا في حب المال حتى ضحوا في سبيله بالعرض ، وفرط قوم قبلنا فيه فحرموا أنفسهم من متاعه ، رهبانية ابتدعوها ما كتبها الله عليهم ، فجاء الإسلام بالوسطية ، ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا(٥٠) ﴾ ﴿ ولا تجعل يدك مغولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً(٥١) ﴾ .

لكنه سلاح ذو حدين ، مرهف كالسيف ، دقيق كالشعر ، ناعم كالزئبق ، يخطف الأبصار ، ويأخذ بالألباب ، والحكمة أمامه صعبة ، والبعد عنه أصعب ، إنه كالأسد المفترس ، إن ركبته لم تأمنه ، وإن ركبك افترسك . لهذا كان كثير من السلف يهرب منه ، ويمثلونه بالنار ، قليله يدفيء ويفيد ، وكثيره يحرق ويبيد ، ورحم الله عمر بن الخطاب إذ يقول : اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينته لنا . اللهم إني اسألك أن أنفقه في حقه .

عمر الذي كان يرقع ثوبه وهو أمير المؤمنين ، وكان ينام على الرمل تحت شجرة ، وكان يحرم زوجه من قطعة حلوى تشتهيها يقول ذلك ؟ ونحن لا نفكر فيما قال وعندنا من المال ما شغلنا عن كل شيء حتى عن ذكر الله ؟

---

(٤٩) سورة النساء الآية ١٦٥

(٥٠) سورة البقرة الآية ١٤٣

(٥١) سورة الإسراء الآية ٢٩

عمر عرف حقيقة المال ونحن نعرف زينته ، عرف نهاية المال ومسئوليته ونحن نعرف بدايته ولذته وننسى آخرته وعقوبته .

عمر قرأ مثل ما نقرأ الآية الكريمة لكنه تدبر واعتبر بآخرها ، ونحن نكتفي بنصفها الأول وحتى قراءة لاتدبرا ، نحن نقرأ : ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث . . ﴾ وعمر يبدأ من حيث انتهينا : ﴿ ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب . قل أؤ نبئكم بخير من ذلكم . . ﴾ فاختار لنفسه ماهو خير .

عمر رأى رسول الله ﷺ في حياته ، ورأى قيمة المال عنده وعند ربه فاقتدى به في نظرته إليه .

عمر علم بما قالته عائشة عن حياة أحب الناس إلى الله محمد رسول الله ﷺ قالت : « ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعا حتى قبض(٥٢) » وقالت : « ما أكل آل محمد ﷺ أكلتين في يوم إلا إحداهما تمر(٥٣) » وقالت : « كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه ناراً إنما هو التمر والماء » وفي رواية « إنا كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال . ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار . قال عروة الراوي : ما كان يعيشكم ؟ قالت : الأسودان . الماء والتمر(٥٤) » وقالت « توفى رسول الله ﷺ وما في رفى من شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي ، فأكلت منه حتى طال على فكلته ففنى(٥٥) »

وقالت : « ما ترك رسول الله ﷺ درهماً ولا ديناراً ولا عبداً ولا أمة ولا شيئا

---

(٥٢) رواه البخاري

(٥٣) رواه الطبراني

(٥٤) رواه البخاري

(٥٥) رواه البخاري

إلا بغلته وسلاحه وأرضا جعلها صدقة(٥٦) » .

عمر رأى رسول الله ﷺ وقد أتته ابنته فاطمة تسأله خادماً ـ وقد جاءه سبى كثير ـ وقد مجلت يدها من الرحي ، فقال لها : ألا أخبرك ما هو خير لك منه ؟ تسبحين عند منامك ثلاثا وثلاثين ، وتحمدين الله ثلاثا وثلاثين ، وتكبرين الله أربعا وثلاثين . يقول علي كرم الله وجهه . فما تركُتها بعد . قيل له : ولا ليلة صفين ؟ قال : ولا ليلة صفين(٥٧) .

عمر يعلم أن نساء النبي ﷺ ضقن بحياة الضنك ، فتجمعن يوما حول النبي ﷺ وقد جاءته غنائم كثيرة ، فقلن : يارسول الله . نساء كسرى وقيصر يرفلن في الحرير والديباج ويتحلين بالذهب والفضة . ونحن كما ترى ؟؟ فقال ﷺ . والله لا أعطيكن وأدع أهل الصفة يموتون جوعا ، وخيرهن بين أن يردن الآخرة ويبقين معه على الضيق ، وبين أن يطلقن ويبحثن عند غيره عن الدنيا وزينتها ، وفي ذلك نزل قوله تعالى : ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً . وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيمًا(٥٨)** ﴾ فاخترن كلهن رسول الله ﷺ .

عمر يعلم أن النبي ﷺ هو الذي اختار هذه الحياة ولم يرغم عليها ، ولو أراد الجبال ذهبا لكانت له ، فهو راغب عن المال ، وليس المال راغبا عنه ، هو ممتنع لا ممنوع ، هو الذي رسم لنفسه هذه السياسة فقال : « لو كان لي مثل أحد ذهباً لسرني أن لاتمر على ثلاث ليال وعندي منه شيء إلا شيئا أرصده لدين(٥٩) » .

---

(٥٦) رواه البخاري

(٥٧) رواه الطبراني

(٥٨) سورة الاحزاب ٢٨ ، ٢٩

(٥٩) رواه أحمد والبزار

عمر يعلم أن النبي ﷺ صلى العصر بأصحابه يوماً ، فلما سلم قام مسرعاً يتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه ، ففزع الناس من سرعته ، فخرج عليهم فرأى أنهم عجبوا من سرعته فقال : « ذكرت شيئا من تبر عندنا ، فكرهت أن يحبسني ، فأمرت بقسمته(٦٠) » .

لم تكن هذه حال رسول الله ﷺ وحده ، بل كانت حال كثير من الصحابة ، فهذا أبو هريرة يحدث فيقول : إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه ، فمر بي أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمًا وأسيراً . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا(٦١) ﴾ ما سألته إلا ليشبعني ، فمر ولم يفعل ، ثم مر بي عمر ، فسألته عن آية من كتاب الله . ما سألته إلا ليشبعني ، فمر ولم يفعل ، ثم مر بي أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآني ، وعرف ما في نفسي وما في وجهي ثم قال يا أبا هر . قلت لبيك يارسول الله . قال : الحق بي ، ومضى فتبعته ، فدخل ، فاستاذن ، فأذن لي ، فدخل فوجد لبنا في قدح ، فقال : من أين هذا اللبن ؟ قالوا : أهداه لك فلان أو فلانة ، قال : أباهر. قلت : لبيك يارسول الله . قال : الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي . قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام ، لا يأوون إلى أهل ولا مال ، ولا يعتمدون على أحد ، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا ، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها . قال : فساءني ذلك ، فقلت : وما هذا اللبن في أهل الصفة ؟

كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها ، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ؟ ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بد ، فأتيتهم

---

(٦٠) رواه البخاري باب مكث الإمام بعد الصلاة

(٦١) سورة الإنسان ٨ ، ٩

فدعوتهم ، فأقبلوا فاستأذنوا ، فأذن لهم ، وأخذوا مجالسهم من البيت . قال : ياأباهر . قلت : لبيك يارسول الله . قال : خذ فأعطهم . قال : فأخذت القدح ، فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ، ثم يرد على القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح ، حتى انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى القوم كلهم ، فأخذ القدح ، فوضعه على يده ، ونظر إلى وتبسم ، وقال : ياأباهر . قلت : لبيك يارسول الله . قال : بقيت أنا وأنت ؟ قلت : صدقت يارسول الله . قال : اقعد فاشرب . فقعدت فشربت ، فقال : اشرب . فشربت . فمازال يقول : اشرب . حتى قلت : لا . والذي بعثك بالحق ، ما أجد له مسلكا . قال : فأرني فأعطيته القدح ، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة(٦٢) » .

لم يكن بعدهم عن المال كراهية له ، ولكن خوفا من الوقوع في فتنته وعدم القيام بحقه ، لقد علموا أن المال يوقع كثيراً في الظلم ويؤدي بصاحبه إلى الطغيان ، لقد قرءوا قوله تعالى : ﴿ كلا إن الإنسان ليطغىٰ أن رآه استغنى(٦٣) ﴾ قرءوا قوله تعالى ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض(٦٤) ﴾ قرءوا عاقبة المال عند فرعون وهامان وقارون وقوم عاد وثمود ، قرءوا قول فرعون ﴿ يأأيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي ياهامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلى أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين . واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لايرجعون(٦٥) ﴾ ﴿ وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين(٦٦) ﴾ ﴿ إن

---

(٦٢) رواه البخاري

(٦٣) سورة العلق ٦ ، ٧

(٦٤) سورة الشورى ٢٧

(٦٥) سورة القصص ٣٨ ، ٣٩

(٦٦) سورة يونس ٨٣

فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا(٦٧) ﴾ ﴿ ونادى فرعون في قومه قال : ياقوم . أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون ؟ أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ؟ فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين ؟ فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين . فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين . فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين(٦٨) ﴾ .

قرءوا قول هود عليه السلام لقومه : ﴿ أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . وإذا بطشتم بطشتم جبارين(٦٩) ﴾ .

قرءوا أن المال يدفع إلى الكبر والخيلاء والتعالي على الخلق ، فهو الذي دفع صاحب الجنتين إلى أن يقول لصاحبه وهو يحاوره ﴿ أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً . ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً . وما أظن الساعة قائمة(٧٠) ﴾ وهو الذي دفع فرعون إلى أن يقول : ﴿ أنا ربكم الأعلى(٧١) ﴾ وهو الذي دفع قارون إلى أن يخرج على قومه في زينته ويتعالى ويتكبر ، وما أقبح الكبر ، وما أكثر ما جاء فيه من الوعيد ، يقول جل شأنه ﴿ ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور(٧٢) ﴾ ﴿ ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا(٧٣) ﴾ ويقول ﷺ : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر(٧٤) » .

---

(٦٧) سورة القصص ٤

(٦٨) الزخرف من ٥١ ـ ٥٦

(٦٩) سورة الشعراء من ١٢٨ ـ ١٣٠

(٧٠) سورة الكهف ٣٤ ، ٣٥

(٧١) سورة النازعات ٢٤

(٧٢) سورة لقمان ١٨

(٧٣) سورة الإسراء ٣٧

(٧٤) رواه البخاري ومسلم

عرفوا أن المال كثيراً ما ينسي المنعم ، ويصور لجامعه أنه بجهده وبحوله وبقوته ومهارته ، فهو الذي دفع قارون إلى أن يقول : ﴿ إنما أوتيته على علم عندي(٧٥) ﴾ وتلك هى الطبيعة البشرية التي أمر المسلم أن يعالجها لتوافق أوامر الله وشرعه ، يصورها جل شأنه في قوله : ﴿ فإذا مس الإنسان ضر دعانا ، ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم ، بل هى فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون . قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون . فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وماهم بمعجزين . أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون(٧٦) ﴾ .

عرفوا أن المال وجمعه يشغل عن العبادة ويوهم صاحبه أنه خالد في الدنيا يبرز جل شأنه هذه الطبيعة بقوله : ﴿ ألهاكم التكاثر . حتى زرتم المقابر(٧٧) ﴾ ﴿ الذي جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده(٧٨) ﴾ ، ﴿ وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين . قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون . وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى . .(٧٩) ﴾

قرءوا كل ذلك ، وكثيراً غير ذلك ، لكنهم قرءوا الأقرب من كل هذا ، قرءوا القصة المعاصرة ، قصة ثعلبة بن حاطب ، وكان رجلا فقيراً ، يلازم المسجد ، حتى سمى : حمامة المسجد ، جاء إلى رسول الله ﷺ ، فقال يارسول الله : ادع الله أن يرزقني مالا ، فقال عليه الصلاة والسلام : ويحك ياثعلبة . أما تحب أن تكون مثلي ؟ فلو شئت أن يسير الله تعالى هذه الجبال

---

(٧٥) سورة القصص ٧٨

(٧٦) سورة الزمر من ٤٩ ـ ٥٢

(٧٧) سورة التكاثر ١

(٧٨) سورة الهمزة ٣

(٧٩) سورة سبأ ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧

معي ذهبا لسارت . قال : يارسول الله . ادع الله تعالى أن يرزقني مالا ، فوالذي بعثك بالحق إن آتانى الله تعالى مالا لأعطين كل ذي حق حقه ، فقال : ويحك ياثعلبة . قليل تطيق شكره خير من كثير لا تطيقه . قال : يارسول الله . ادع الله تعالى لى ، فقال رسول الله ﷺ :

اللهم ارزقه مالا ، فاتخذ غنما ، فبورك له فيها ، ونمت كما ينمو الدود حتى ضاق بها بيته بالمدينة ، فتنحى بها ، فكان يشهد الصلاة بالنهار مع رسول الله ﷺ ولا يشهدها بالليل ، ثم نمت كما ينمو الدود ، فتنحى بها مكانا أبعد ، فكان لا يشهد الصلاة بالليل ولا بالنهار إلا من جمعة إلى جمعة مع رسول الله ﷺ ثم نمت كما ينمو الدود فضاق بها مكانه فتنحى بها مكانا أبعد ، فكان لا يشهد جمعة ولا جنازة مع رسول الله ﷺ ، فجعل يتلقى الركبان ويسألهم عن الأخبار ، وفقده رسول الله ﷺ ، فسأل عنه ، فأخبروه أنه اشترى غنما ، وأن المدينة ضاقت به ، فقال ﷺ : ويح ثعلبة بن حاطب . ويح ثعلبة بن حاطب . ويح ثعلبة بن حاطب .

ثم إن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يأخذ الصدقات ، وأنزل : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها(٨٠) ﴾ فبعث رجلين ، رجلا من جهينة ورجلا من بني سلمة ، يأخذان الصدقات ، وكتب لهما أسنان الإبل والغنم وكيف يأخذانها ، وأمرهما أن يمرا على ثعلبة وعلى رجل من بنى سليم ، فخرجا فمرا بثعلبة فسألاه الصدقة ، فقال : أرياني كتابكما ، فنظر فيه ، فقال : ما هذه إلا جزية ، انطلقا حتى تفرغا ثم مرابي ، فانطلقا وسمع بهما السليمي ، فاستقبلهما بخيار إبله ، فقالا : إنما عليك دون هذا . فقال : ما كنت لأتقرب إلى الله إلا بخير مالي ، فقبلا منه ، فلما فرغا مرا بثعلبة ، فقال : أرياني كتابكما : فنظر فيه . فقال : ما هذه إلا جزية . انطلقا حتى أرى رأيي ، فانطلقا حتى قدما المدينة فلما رآهما رسول الله ﷺ قال : ـ قبل أن يكلمهما ـ ويح ثعلبة بن حاطب ، ودعا للسليمي بالبركة ، وأنزل الله تعالى :

---

(٨٠) سورة التوبة ١٠٣

﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه ، وبما كانوا يكذبون . ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب(٨١) ﴾ .

فسمع بعض أقاربه ، فأتاه ، فقال : ويحك ياثعلبة ؟؟ أنزل الله فيك كذا وكذا ، فقدم على رسول الله ﷺ ، فقال يارسول الله . هذه صدقة مالي . فقال عليه الصلاة والسلام : إن الله قد منعني أن أقبل منك ، فجعل يبكي ويحثو التراب على رأسه . فقال رسول الله ﷺ : هذا عملك بنفسك أمرتك فلم تطعني . فلم يقبل منه رسول الله ﷺ حتى مضى ، ثم أتى أبا بكر رضى الله عنه ـ فقال : يا أبا بكر . اقبل منى صدقتي ، فقد عرفت منزلتي من الأنصار . فقال أبو بكر : لم يقبلها رسول الله ﷺ وأقبلها ؟ فلم يقبلها أبو بكر ثم ولى عمر ـ رضى الله عنه ـ فأتاه ، فقال : يا أبا حفص يا أمير المؤمنين . اقبل مني صدقتي . فقال عمر : لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر أيقبلها عمر ؟ فأبى أن يقبلها فلما ولى عثمان ـ رضى الله عنه ـ لم يقبلها منه ، وهلك في خلافته(٨٢) .

عرفوا هذا وعرفوا حقيقة المال ، وأنه ابتلاء واختبار قرءوا كما نقرأ ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم(٨٣) ﴾ ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون(٨٤) ﴾

---

(٨١) سورة التوبة ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨

(٨٢) اخرجه الطبراني والبيهقي وابن المنذر عن أبي أمامة الباهلي . انظر الألوسي في تفسير الآية .

(٨٣) سورة التغابن ١٥

(٨٤) سورة هود ١٥ ، ١٦

﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا(٨٥) ﴾ .

سمعوا قوله ﷺ « والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتلهيكم كما ألهتهم(٨٦) » .

وقوله ﷺ « تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة ، إن أعطى رضى ، وإن لم يعط لم يرض(٨٧) » .

وقوله ﷺ : « إن هذا المال خضرة حلوة ، فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى(٨٨) » .

سمعوا حديث أبي ذر ـ رضى الله عنه ـ قال : « خرجت ليلة من الليالي ، فإذا رسول الله ﷺ يمشي وحده وليس معه إنسان ، قال : فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد ، قال : فجعلت أمشي في ظل القمر ، فالتفت فرآني فقال : من هذا ؟ قلت : أبو ذر جعلني الله فداءك . قال : يا أبا ذر . تعال . فمشيت معه ساعة . فقال « إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيراً فنفخ فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً(٨٩) » .

نعم . خاف الصحابة من شرور المال ، فمنهم من أعرض عنه وزهد فيه كعمر ، ومنهم من جاهد فيه وجمعه من حله وأدى حق الله فيه ، حتى رأينا

---

(٨٥) سورة الكهف ٤٦

(٨٦) رواه ابن حبان والحاكم

(٨٧) رواه البخاري

(٨٨) رواه البخاري

(٨٩) رواه ابن حبان وابن ماجه

أبا طلحة أكثر الأنصار مالا بالمدينة ، لما نزل قوله تعالى ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون(٩٠) ﴾ كان من أعز ماله حديقة نخل مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب . . فلما أنزلت هذه الآية قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يارسول الله . إن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾ وإن أحب أموالي إلى ـ بيرحاء ـ وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله ، فضعها يارسول الله حيث أراك الله . فقال رسول الله ﷺ : بخ . بخ . ذلك مال رابح ، ذلك مال رابح ، وقد سمعت ما قلت ، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين . قال أبو طلحة : أفعل يارسول الله . فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبنى عمه(٩١) » .

وهذا سعد بن أبي وقاص يقول : « جاء النبي ﷺ يعودني وأنا مريض ، فقلت : يارسول الله . لي مال كثير ولا يرثني إلا ابنة ، فأوصى بمالي كله ؟ قال : لا . قلت : فالشطر ؟ قال : لا . قلت : فالثلث ؟ قال : الثلث ، والثلث كثير ، إنك إن تدعَ ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس(٩٢) » .

وهذا عبد الرحمن بن عوف يأتي رسول الله ﷺ فيقول : يارسول الله . عندي ثمانية آلاف ، تركت منها أربعة لعيالي وجئت بأربعة أقدمها إلى الله تعالى ، وسمعه عاصم بن عدى الأنصاري ، فقال : يارسول الله . عندي سبعون وسقا من تمر ، أحتفظ بنصفها لعيالي ، وأقدم نصفها في سبيل الله ، وسمعهما رجل فقير من الأنصار يكنى أبا عقيل ، فقال يارسول الله . مالي من مال ، غير أني أجرت نفسي البارحة من بنى فلان على صاعين من تمر ، فتركت صاعا لعيالي ، وجئت بصاع أقربه إلى الله تعالى(٩٣) » .

---

(٩٠) سورة آل عمران ٩٢

(٩١) رواه البخاري

(٩٢) رواه البخاري

(٩٣) اخرجه البغوى في معجمه

هكذا عرفوا حقيقة المال فجعلوه في أكفهم لا في قلوبهم وعرفوا فائدة بذله فهان عليهم .

وتغيرت الأحوال ، وأصبحنا في زمن لا يبالي المرء من أين يجمع المال ؟ من حله أو من غير حله ؟ ولا يبالي فيم ينفقه ؟ أفي الحلال يسرف أم في الحرام ؟ وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول : « يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه ، أمن الحلال أم من الحرام(٩٤) » غفل الذين يبخسون الكيل والميزان عن قوله تعالى ﴿ ويل للمطففين . الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم(٩٥) ﴾ .

غفلوا عن أن الله أهلك قوم شعيب لأنهم كانوا يبخسون الناس أشياءهم وينقصون الميزان ﴿ فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين(٩٦) ﴾ جهلوا قوله ﷺ « ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا قطع الله عنهم الرزق(٩٧) » وقوله ﷺ « ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم(٩٨) » .

لو علم التاجر الذي يصرف سلعته بالكذب والحلف أنه إن ربح درهما خسر ديناراً وأن مكسبه من هذا الطريق محق لبركة ماله ما فعل ، لو علم حديث رسول الله ﷺ « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم ، فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات . قال أبو ذر : قلت : خابوا وخسروا . ومن هم يارسول الله ؟ قال : المسبل إزاره ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب(٩٩) » وفي رواية « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم

---

(٩٤) رواه البخاري

(٩٥) سورة المطففين من ١ ـ ٥

(٩٦) سورة الأعراف ٩١

(٩٧) رواه مالك

(٩٨) رواه ابن ماجه والبيهقي والحاكم

(٩٩) رواه مسلم وأبو داود والترمذي

القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ، رجل على فضل ماء بفلاة يمنعه ابن السبيل . ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا للدنيا فإن أعطاه منها مايريد وفي له ، وإن لم يعطه لم يف » وفي رواية « ورجل حلف على سلعته لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب ، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرىء مسلم ، ورجل منع فضل ماء ، فيقول الله له : اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل مالم تعمل يداك(١٠٠) » .

وعن عبد الرحمن بن شبل قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن التجار هم الفجار ، قالوا : يارسول الله . أليس قد أحل الله البيع ؟ قال : بلى ، ولكنهم يحلفون فيتأثمون ، ويحدثون فيكذبون(١٠١) » . لو علم التجار ذلك ما كانت تلك حالتهم .

لو علم الذي يسأل الناس من غير فقر أنه إنما يجمع ناراً ، وأنه سيأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم ، لو علم ذلك ما فكر في السؤال ، واعتبر بقوله ﷺ « المسالة كلوح في وجه صاحبها يوم القيامة ، فمن شاء استبقى على وجهه(١٠٢) » وقوله ﷺ « مسألة الغنى نار إن أعطي قليلاً فقليل ، وإن أعطي كثيراً فكثير»(١٠٣) »

لو اعتبر الذين يحيطون بالسلطان من غير عمل ، ويتقاضون بلا مقابل ، ويأخذون من مال المسلمين مالم يؤذن لهم فيه ، لو علم أولئك أنهم كمن يسأل عن ظهر غني ، وأنهم يأخذون تكثرا ورسول الله ﷺ يقول : « من سأل الناس تكثرا فإنما يسأل جمرا ، فليستقل أو ليستكثر(١٠٤) » ما أخذوا درهما .

---

(١٠٠) رواه البخاري ومسلم

(١٠١) رواه أحمد بإسناد جيد والحاكم وقال صحيح الإسناد

(١٠٢) رواه احمد برواة ثقاب

(١٠٣) رواه احمد باسناد جيد

(١٠٤) رواه مسلم وابن ماجه

لقد روى عن حكيم بن حزام ـ رضى الله عنه ـ قال : جاء مال من البحرين ، فدعاني رسول الله ﷺ فحفن لي ، فقلت : يارسول الله ـ خير لي ؟ أو شر لي ؟ قال : لا ، بل شرلك ؟ قال : فرددت عليه ما أعطاني ، ثم قلت : والذي نفسي بيده لا أقبل من أحد عطية بعدك . فكان أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ يدعو حكيما ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبله منه ، ثم إن عمر ـ رضى الله عنه ـ دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله(١٠٥) .

إن الغني غني النفس وليس كثرة المال ، ومن يستعف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله(١٠٦) وكان رسول الله ﷺ يدعو فيقول : « اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها(١٠٧) » .

لو علم المستدين من غير ضرورة ماذا عليه من الإثم لكان أن يعض أصابع الفقر خيرا له من أن يستدين ، إن رسول الله ﷺ كان يستعيذ من الدين فلما قيل له ما أكثر ما تستعيذ من الدين قال : إن الرجل إذا استدان اعتذر فكذب ووعد فأخلف ، وهذا هو شأن المستدين ، يختلق الأعذار للدائن ، ويعد ثم لا يفي ، فيكتسب بذلك ثلثي النفاق بل خصال النفاق الثلاث « إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان(١٠٨) » والمؤسف أن بعض المسلمين يستهين بالدين فيستدين ليتاجر ، ويستدين ليستثمر مال الغير لنفسه ، مستغلا سماحة الدائن وكرمه وجوده وحبه لخير الآخرين ، والمؤسف أكثر أن بعض هؤلاء يستدين لمدة شهر وفي نيته أن لا يرد قبل عام أو أعوام ،

---

(١٠٥) رواه البخاري ومسلم

(١٠٦) معنى حديث رواه البخاري ومسلم

(١٠٧) رواه مسلم

(١٠٨) رواه البخاري

ورسول الله ﷺ يقول : « مطل الغني ظلم(١٠٩) » وهذا كله ولا شك سحت ، وكل لحم نبت من سحت فالنار أولى به ، إن رسول الله ﷺ كان إذا أتى بجنازة لم يسأل عن شيء من عمل الرجل ويسأل عن دينه ، فإن قيل : عليه دين كف عن الصلاة عليه ، وإن قيل : ليس عليه دين صلي عليه ، فأتى بجنازة فلما قام ليكبر سأل رسول الله ﷺ : هل على صاحبكم دين ؟ قالوا : ديناران . فعدل عنه رسول الله ﷺ ، وقال : صلوا على صاحبكم ، فقال علي ـ رضى الله عنه ـ عليَّ يارسول الله ، برىء الرجل منهما ـ فتقدم رسول الله ﷺ فصلى عليه ، ثم قال لعلي ـ رضى الله عنه ـ جزاك الله خيراً ، فك الله رهانك كما فككت رهان أخيك ، إنه ليس من ميت يموت وعليه دين إلا وهو مرتهن بدينه ، ومن فك رهان ميت فك الله رهانه يوم القيامة(١١٠) » .

وقال ﷺ : « من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله(١١١) » .

لو علم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما أنهم إنما يأكلون جمرا ما اقتربوا من مال اليتيم لقد قال تعالى : ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً(١١٢)** ﴾ .

لو علم الذين يأكلون الربا أنهم يجمعون المحق ، وأنهم سيأتون يوم القيامة مجنونين كالذين يتخبطهم الشيطان من المس ما أكلوه وفي ذلك يقول جل شأنه : ﴿ **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس(١١٣)** ﴾ .

---

(١٠٩) رواه البخاري

(١١٠) رواه الدارقطني

(١١١) رواه البخاري

(١١٢) سورة النساء ١٠

(١١٣) سورة البقرة ٢٧٥

ويقول ﷺ : « رأيت الليلة رجلين ، أتياني فأخرجاني إلى أرض مقدسة ، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم ، فيه رجل قائم ، وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة ، فأقبل الرجل الذي في النهر ، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه ، فرده حيث كان ، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان ، فقلت : ما هذا الذي رأيته في النهر ؟ قال : آكل الربا(١١٤) » .

نعم آكل الربا يجمع المحق ، ومازاد في ماله من حرام سيجرف ويضيع معه الحلال ، ومآله الفقر حتما . إن لم يكن الفقر المالي فهو الفقر النفسي الداخلي ، لكن الفقر المالي عاقبة الكثيرين من آكلي الربا كما هو مشاهد في حياتنا الواقعية عاجلا أو آجلا ، وصدق الرسول ﷺ إذ يقول : « ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة » وفي رواية « الربا وإن كثر فإن عاقبته إلى قل(١١٥) » ويقول جل شأنه ﴿ وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله(١١٦) ﴾ .

لو علم الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويدلون بها إلى الحكام أنهم يأكلون ناراً ماجمعوا مالا بهذه الوسيلة ، لقد قال الله تعالى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون(١١٧) » .

إن من خاصم في أمر باطل ، وهو يعلم أنه باطل ، معتمداً على قوته أو على سلطته أو على بلاغته ، أو على قوة حجته أو على ضعف بيان خصمه فإن ما يصل إليه عن طريق الحاكم قطعة من نار ، تحرق الظالم في دنياه بهلاك في نفسه أو ولده أو ماله ، لقد سمع رسول الله ﷺ ، وهو في بيت أم سلمة صوت

---

(١١٤) رواه البخاري

(١١٥) رواه ابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد

(١١٦) سورة الروم

(١١٧) سورة البقرة اية ١١٨

خصوم قريبين من بابه ، فخرج إليهم ، فاستمع أقوال فريق يطالب بنصيب أكبر في ميراث ، فظن من حجته وبيانه أنه صاحب الحق ، واستمع أقوال الفريق الآخر فظن أنه صاحب الحق ، فلم يجد بدا من نصح الفريقين أن يخافا الله والدار والآخرة ، فإن متاع الحياة الدنيا في الآخرة قليل ، قال لهم : إنما أنا بشر ، أحكم حسب ما يغلب علي ظني أنه الحق ، وقد أخطىء نتيجة بلاغة أحد الطرفين وضعف بيان الآخر ، فاتقوا الله ، واصدقوا الطلب ، واقصدوا الحق ، فمن قضيت له بحق الآخرين ، واقتطعت له من مال الآخرين فإن ما أقتطعه من مال مسلم لمسلم إنما هو قطعة من النار ، وإن كان قضيبا من أراك أو فرعاً رفيعاً من شجرة ، فليأخذها الظالم المستهتر بعذاب الآخرة ناراً تحرق دنياه وأخراه ، أو ليدعها خوفاً من ربه وانتقامه ، وله الجزاء الأحسن والعوض الأفضل(١١٨) .

إن الطبيعة البشرية المنحرفة ، وحب المال حباً يصم الآذان ، ويعمي العيون دفع بالكثيرين إلى أكل الحقوق والأمانات ودفع بالكثيرين إلى دعوى الباطل ومحاولة الاستيلاء على مال الغير ، فأصبحت معظم الخصومات إن لم يكن كلها بسبب المال ، ولو أن كل واحد أخذ حقه وماله فقط ، وأدى ما عليه من مال وحقوق ما احتجنا إلى محاكم ولا قضاة ولما احتجنا إلى الكتابة والإشهاد .

ومن هنا خص الله تعالى المداينة بأكبر آية في القرآن الكريم ، وحدد فيها وشدد بما لم يحدده ويشدده في باب من أبواب التشريع فقال جل شأنه : **﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب ، وليملل الذي عليه الحق ، وليتق الله ربه ، ولا يبخس منه شيئا ، فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل ،**

---

(١١٨) بمعناه روى البخاري

واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ، ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ، ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ، ذلكم أقسط عند الله ، وأقوم للشهادة ، وأدنى أن لا ترتابوا ، إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم ، فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها ، وأشهدوا إذا تبايعتم ، ولايضار كاتب ولا شهيد ، وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم ، واتقوا الله ويعلمكم الله ، والله بكل شيء عليم . وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة ، فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته ، وليتق الله ربه ، ولا تكتموا الشهادة ، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ، والله بما تعملون عليم(١١٩) ﴾ .

وخلاصة القول أن جمع المال من حله صعب وعسير وشائك وخطير ، وجمعه من غير حله هلاك كبير ، ومن هنا كانت نصيحة الشرع التحري والإجمال في الطلب والبعد عن الشبهات فضلاً عن البعد عن المحرمات ، ولعلي حين أسوق نصوصاً شرعية في ذلك أرسم الصورة والطريق الصحيح للمسلم نحو تحصيل المال واكتسابه .

يقول ﷺ « الحلال بين والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات ، أو فمن ترك ماشبه عليه من الإثم كان لما استبان أترك ، ومن اجترأ على ما يشك فيه من الإثم أوشك أن يواقع ما استبان(١٢٠) » .

ويقول جل شأنه : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين(١٢١) ﴾ فما لم يجعل المسلم حب الله وأوامر الله فوق هوى النفس ومتع

---

(١١٩) سورة البقرة ٢٨٢ ، ٢٨٣

(١٢٠) رواه البخاري

(١٢١) سورة التوبة ٢٤

الحياة الدنيا كلها بما في ذلك المال فذلك هو الخسران المبين . وقليل يكفي خير من كثير يطغى ، وحسب المؤمن ثلاث ، أوضحها رسول الله ﷺ بقوله : « من أصبح آمنا في سربه ـ أي في نفسه ـ معافى في بدنه ، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها(١٢٢) » ويقول ﷺ : « يا أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب ـ أي في طلب الرزق ـ فإن نفساً لن تموت حتى تستوفى رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، فإن استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله ، فإن الله لا ينال فضله بمعصيته ، خذوا ما حل ، ودعوا ما حرم(١٢٣) » وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ رأى تمرة غابرة فأخذها فناولها سائلا فقال : أما إنك لو لم تأتها لأتتك(١٢٤) » وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال : ﴿ **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم(١٢٥)** ﴾ وقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم(١٢٦)** ﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر ، أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء يارب . يارب . ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك(١٢٧) » .

وإذا تجاوزنا اكتساب المال إلى كنزه أو إنفاقه ألفينا الشريعة الإسلامية ليست شريعة التقتير والزهد وليست شريعة التبذير والانغماس ، وإنما هى شريعة التوسط ، شريعة التمتع بمتع الحياة الدنيا من غير إسراف أو كبر ﴿ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق . قل هى للذين آمنوا في الحياة الدنيا

---

(١٢٢) رواه الترمذي

(١٢٣) رواه الحاكم

(١٢٤) رواه ابن حبان في صحيحه

(١٢٥) سورة المؤمنون ٥١

(١٢٦) سورة البقرة ١٧٢

(١٢٧) رواه مسلم والترمذي

خالصة يوم القيامة(١٢٨) ﴾ ﴿ لاتفرح إن الله لايحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين(١٢٩) ﴾ ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط(١٣٠) » .

والناس أمام صرف المال أصناف ، منهم من يكتنز ، ويضع الدينار على الدينار والألف على الألف ولا يؤدى حق المال ، لا ينفق في سبيل الله ولا يخرج الزكاة ، وهذا الصنف توعده الله تعالى بقوله : ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون**(١٣١) ﴾ .

ويقول ﷺ : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كانت يوم القيامة صفحت له صفائح من نار ، فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ، كلما بردت أعيدت له ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين العباد ، فيرى سبيله ، إما إلى الجنة وإما إلى النار(١٣٢) »

ولا يظن ظان أن المقصود بهذا الأغنياء الكبار والذين يكنزون الآلاف أو الملايين ، بل كل من يملك نصاباً مما يؤدي فيه الزكاة ، ثم لا يؤدي حق الله فيه فهو كانز وصاحب كنز ، حتى صاحب الإبل أو البقر أو الغنم ، ففي تكملة

---

(١٢٨) سورة الأعراف ٣٢

(١٢٩) سورة القصص ٧٧

(١٣٠) سورة الإسراء ٢٩

(١٣١) سورة التوبة ٣٤ ، ٣٥

(١٣٢) رواه مسلم

الحديث السابق « قيل : يارسول الله . فالإبل ؟ قال : ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها - ومن حقها حلبها يوم وردها - إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع أكثر وأوفر مما كانت ، تطؤه بأخفافها وتعضه فأفواهها ، كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار . قيل : يارسول الله . فالبقر والغنم ؟ قال : ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر - أي بمكان مستو أملس - أوفر ما كانت ، تنطحه بقرونها ، وتطؤه بأظلافها ، كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين العباد ، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار(١٣٣) » .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيتان - أي حية أو ثعبانا لا شعر في رأسه كثير السم له قرنان أو غدتان مملوءتان سما - فيلزمه أو يطوقه ، يقول أنا كنزك . أنا كنزك . وفي رواية : « يطوقه يوم القيامة ، يأخذ بلهزمتيه - يعني شدقيه - ثم يقول : أنا مالك . أنا كنزك ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة**(١٣٤) ﴾ .

الصنف الثاني : من آتاه الله مالا كثيراً فأخرج زكاته لكنه أسرف وبذر في المحرمات ، والإسراف هو مجاوزة الحد والزيادة على المطلوب شرعاً ، والتبذير وضع الشيء في غير موضعه ، ووضع المال في غير محله ، فلو كان المباح يستحق خمسة فأنفق ثمانية كانت الثلاثة إسرافاً ، وإذا وضع درهما واحداً في غير مباح كان تبذيراً ، وعلى هذا فالمبذر قد يكون فقيراً ، كمن يحتاج أولاده

---

(١٣٣) رواه البخاري ومسلم

(١٣٤) الحديث رواه البخاري ومسلم والآية ١٨٠ سورة آل عمران .

القوت فينفق ثمن قوتهم في شرب السيجار ، مثل هذا مبذر أشد جرماً من مبذر من مال وفير ، وكلاهما آثم مذنب ، حيث يقول جل شأنه : ﴿ **ولا تبذر تبذيراً ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا**(١٣٥) ﴾ .

الصنف الثالث : صنف كان همه الجمع والتقتير ، يبخل به على نفسه مخافة الفقر ، كلما زاد مالا زاد خوفاً وبخلاً ، وصدق الله العظيم حيث يقول في طبيعة أمثاله ﴿ **قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة بي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتوراً**(١٣٦) ﴾ هذا الصنف أحزن الناس على نفسه يوم تظهر له الحقيقة ، وحين لا ينفع الندم ، وفي ذلك يقول أبو الطيب :

أشد الغم عندى في سرور . . تيقن عنه صاحبه انتقالا

كما حذر رسول الله ﷺ أمثال هؤلاء حين بين لهم أن مايجمعون سيصير لورثتهم ، الأحباب منهم والأعداء ، لقد قال للصحابة يوما ـ رضوان الله عليهم أجمعين : « أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟ قالوا : يارسول الله . مامنا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه . قال : فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر(١٣٧) » وكم حذر الله تعالى من يوم الحقيقة فقال ﴿ آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه(١٣٨) ﴾ ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون(١٣٩) ﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون . وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن

---

(١٣٥) سورة الإسراء ٢٦ ، ٢٧

(١٣٦) سورة الإسراء ١٠٠

(١٣٧) رواه البخاري

(١٣٨) سورة الحديد ٧

(١٣٩) سورة التغابن ١٦

يأتي أحدكم الموت فيقول : رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعلمون(١٤٠) ﴾ ﴿ إنما الحياة الدنيا لعب ولهو ، وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم . إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم . ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه ، والله الغني وأنتم الفقراء(١٤١) ﴾ ﴿ ومالكم ألا تنفقوا في سبيل الله ، ولله ميراث السموات والأرض(١٤٢) ﴾ ﴿ وما يغني عنه ماله إذا تردى(١٤٣) ﴾ ﴿ ولقد جئتمونا فرادي كما خلقناكم أول مرة ، وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم(١٤٤) ﴾ .

نعم . وحذر رسول الله ﷺ كثيراً وبصر . وخوف من يوم الحقيقة المرة بعد المرة فقال « يا ابن آدم . إنك إن تبذل الفضل خير لك ، وإن تمسكه شر لك(١٤٥) » وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله . أي الصدقة أعظم أجراً ؟ قال : « أن تصدق وأنت صحيح شحيح ، تخشى الفقر ، وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت : لفلان كذا ، ولفلان كذا ، وقد كان لفلان(١٤٦) » « ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأبقيت(١٤٧) » وفي رواية « إنما لابن آدم من ماله ثلاث . ما أكل فأفنى ،

---

(١٤٠) سورة المنافقون ٩ ، ١٠ ، ١١

(١٤١) سورة محمد ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨

(١٤٢) سورة الحديد ١٠

(١٤٣) سورة الليل اية ١

(١٤٤) سورة الأنعام ٩٤

(١٤٥) رواه مسلم

(١٤٦) رواه البخاري

(١٤٧) رواه مسلم

أو لبس فأبلى ، أو أعطى فاقتنى ، وما سوى ذلك فهو ذاهب ، وتاركه للناس(١٤٨) » .

وصدق الشاعر إذ يقول :

وما الناس إلا جامع أو مضيع . . وذو نصب يسعى لآخر نائم

نعم . لو تدبر هذا الصنف من الناس لعلم أنه لن يأخذ معه مما يجمع سوى ثوب من قماش وقطعة من قطن ، يصور هذه الصورة الشاعر حيث يقول :

نصيبك مما تجمع الدهر كله . . رداءان تلوي فيهما وحنوط

وليس هناك في هذا المقام أروع مما قاله ﷺ فهو يقول : « يتبع الميت ثلاثة ، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد ، يتبعه ، أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله ، ويبقى معه عمله(١٤٩) » .

ويقول « الأخلاء ثلاثة ، فأما خليل فيقول : أنا معك حتى تأتي قبرك ـ وهو الأهل والأصدقاء ـ وأما خليل فيقول : كنت لك واليوم لست لك ، فذلك المال ، وأما خليل فيقول : أنا معك حيث دخلت وحيث خرجت فذلك العمل(١٥٠) » .

الصنف الرابع : كان همه الجمع والتقتير ، لكن ليس خوف الفقر ، ولكن لحماية الأولاد ، والجمع للذرية ، والخوف عليها من الحاجة بعده ، وهذا النوع إن صاحبه إيمان بالله ، وتوكل عليه ، وتفويض إليه ، وطلب العون منه كان لابأس به ، بل هذه النظرة من الشريعة محل اعتبار « إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس » على أن تقدم لآخرتك بالمقام الأول ، فإن هذه الفقرة من الحديث إنما سيقت للصحابي الجليل سعد بن أبي

---

(١٤٨) رواه مسلم

(١٤٩) رواه البخاري

(١٥٠) رواه الحاكم وقال صحيح

وقاص حينما أراد أن يوصي بكل ماله في سبيل الله ، فاكتفى منه بالتبرع بالثلث والاحتفاظ للورثة بالثلثين ، أما أن يصحب هذه النظرة حرمان من متع الحياة وقلة إنفاق في سبيل الله ، واعتماد على ما يترك للأولاد مما يجمع لهم فذلك هو الخطأ ، وكثيراً ما تكون نتيجة هذه النظرة نتيجة عكسية ، يسلط الله الأولاد على ما جمع لهم أبوهم ، فيبعثرونه في زمن قليل ، ويقع ماخافه عليهم .

وفي هذا المعنى روى الطبراني عن رسول الله ﷺ أنه قال : « نشر الله عبدين من عباده ، أي بعثهما وأوقفهما للسؤال ، وكان قد أكثر لهما في دنياهما المال والولد ، فقال لأحدهما . أي فلان ابن فلان . قال : لبيك رب وسعديك . قال : ألم أكثر لك من المال والولد ؟ قال : بلى . قال : وكيف صنعت فيما آتيتك ؟ قال : تركته لولدي مخافة العيلة ـ أي الفقر ـ قال : أما إنك لو تعلم العلم ـ أي لو تعلم ما حصل لهم بعدك ـ لضحكت قليلاً ، ولبكيت كثيراً ، أما إن الذي تخوفت منه على أولادك قد أنزلته بهم ، ويقول للآخر : أي فلان ابن فلان . فيقول : لبيك رب وسعديك . قال : ألم أكثر لك من المال والولد ؟ قال : بلى . أي رب . قال : فكيف صنعت فيما آتيتك ؟ قال : أنفقت في طاعتك ، ووثقت لولدي من بعدي بحسن عطائك . قال : أما إنك لو تعلم العلم ـ أي لو تعلم ما حصل لهم بعدك ـ لبكيت قليلاً ، ولضحكت كثيراً ، أما إن الذي قد وثقت به قد أنزلته بهم(١٥١) » .

الصنف الخامس : كان يؤمن أن المال مال الله ، وأنه وديعة عندنا أمرنا بإنفاقه فيما يرضى مالكه ، فأنفقوه في طاعته ، الفقير على قدر فقره ، والغني على بسطة رزقه ، وضعوا نصب أعينهم قوله تعالى ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله(١٥٢) ﴾ تصدقت عائشة بتمرة واحدة لم تجد عندها غيرها لامرأة

---

(١٥١) رواه الطبراني

(١٥٢) سورة الطلاق ٧

معها ابنتاها ، فشقت المرأة التمرة نصفين ، أعطت كل بنت نصفاً(١٥٣) كانت تتمثل قول رسول الله ﷺ : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يقبل الله إلا طيباً ، فإن الله يقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها حتى تكون مثل الجبل(١٥٤) وقول رسول الله ﷺ « إن العبد ليتصدق بالكسرة تربو عند الله ، حتى تكون مثل أحد(١٥٥) » وقول رسول الله ﷺ « سبق درهم مائة ألف درهم ، فقال رجل : وكيف ذاك يارسول الله ؟ قال : رجل له مال كثير أخذ من عرضه مائة ألف درهم تصدق بها ، ورجل ليس له إلا درهمان ، فأخذ أحدهما ، فتصدق به(١٥٦) » .

وكان السلف الصالح من هذا الصنف . تنافس الأغنياء في الإنفاق ، حتى شكا الفقراء إلى رسول الله ﷺ وقالوا : يارسول الله . ذهب أهل الدثور بالأجور ، وفي رواية « بالدرجات العلا والنعيم المقيم » يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ولهم فضل أموال يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون ، قال : ألا أحدثكم بما إن أخذتم أدركتم من سبقكم ، ولم يدركم أحد بعدكم ، وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه إلا من عمل مثله ؟ تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، فذهب الفقراء يذكرون دبر كل صلاة ، وسمع بهم الأغنياء ففعلوا مثلهم ، فعاد الفقراء يقولون : يارسول الله . سمع إخواننا الأغنياء بما فعلنا ففعلوا كما فعلنا ؟ قال : فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء(١٥٧) » .

---

(١٥٣) الحديث بمعناه في البخاري

(١٥٤) رواه البخاري

(١٥٥) رواه الطبراني

(١٥٦) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

(١٥٧) أصله في البخاري .

وهكذا كان المال من أول أن هبط آدم من الجنة ، وإلى اليوم مصيدة الشيطان وعصب الحياة .

ولعلي ـ بعد هذه الجولة السريعة التي لمست فيها عناوين الموضوعات ولم أوفها حقها ـ لعلي حللت لغز المال ، وركبت كلماته المتقاطعة ، ولعلي في حاجة إلى مقال ومقال . وعلى الله قصد السبيل .